روزا 2
rose al youssef
إشراف : محمود سماحة

مذكرات مارادونا النيل

تفاصيل مباراة طاهر أبو زيد مع الحياة (الشوط الثانى)

هاجر

أميرة الشعراء

الثعلب والإنسان..
إعادة تصنيف

أيهما المتوحش ومن الأليف؟

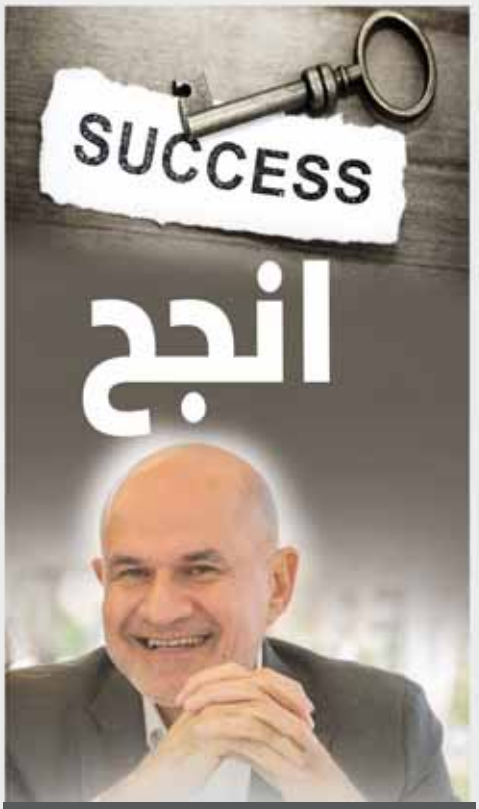

ينقلها لكم د. محمد قورة

هناك المئات من تعريفات للنجاح.. لكن التعريف الأقرب إلى الواقع هو إدراك الغاية مَهما كانت العَقبات، وهذا معناه أن النجاح مفهومه واحد، وهو تحقيق الهدف مَهما كانت المعوقات، لكن الغاية قد تختلف من شخص لآخر فقط فى نوعها، فقد تكون عينيّة كالحصول على المال أو معنوية كنَيل الاحترام أو حتى الشعور بالسعادة والرضا.

بل ذهب البعضُ إلى تعريف النجاح بأنه مقاومة الصعاب وتجاوُز المشاكل والصبر على المكاره، وبما أن النجاحَ عملية مستمرة باستمرار الحياة؛ فإن العَقبات ستستمر، ومن هنا جاءت فكرة «باب انجح»؛ حيث أشارككم كل أسبوع قصص نجاح من جميع دول العالم أبطالها شخصيات نجحت رُغْمَ المعاناة؛ لتصبح صلبة فى مواجهة المعوقات والحرمان والألم، التى أصبحت فيما بعد ذكرياتٍ ووقودًا لمزيد من النجاح، لعلها تكون حافزًا ومثالًا حيًا لكل إنسان يظن أن النجاحَ سهل؛ لنؤكدَ لهم أن النجاح والكفاح وجهان لعُملة واحدة.

اليوم، نعرض قصة كفاح مارادونا النيل، الكابتن «طاهر أبوزيد»، من البدارى بصعيد مصر إلى شبرا ثم النادى الأهلى ومنتخب مصر ومقعد الوزارة والبرلمان المصرى.. إلا أننا فضلنا أن نعرضها كما سَرَدَها، لكى تبقَى روحُ العزيمة والإصرار بين أسطرها.

مذكرات مارادونا النيل

الحلقة الثانية

02

فاز باحترام الجميع ولم يخسر نفسه

تفاصيل مباراة طاهر أبو زيد مع الحياة

(الشوط الثانى)

الأسبوع الماضى تحدثت عن الظروف الحياتية.. التعب.. الدراسة.. الظروف المادية التى لا تسمح بأن أستقل مواصلة مريحة للذهاب للتمرين فيكون مشوار الذهاب للنادى مشقة فى حد ذاته.. الإصابات الأولى والثانية ومعاركى مع المدربين هانى مصطفى ومنتخب الناشئين والاستبعاد الأشهَر من منتخب مصر علىِ يد الجوهرى. كل ما رويته كان مؤلمًا فى حينه، لكنه كان مثل أداة تصقل شخصيتى وموهبتى لأستمر فى تحقيق نجاح تلو الآخر.

لم تكن الحياة كلها مواقف مؤلمة، ولكن حتى عندما كانت تضحك لى وتعطينى بيد كانت وفى اللحظة نفسها تصفعنى باليد الأخرى وتوجّه لى ضربة قاصية، وهى مواقف قد تصنع من الإنسان بطلا أو تقضى عليه حسب اختياره وقدرته.

■ الوجه الآخر للحياة

أذكر أن جدّى من ناحية والدتى- رحمه الله- كان دائمًا ما يقول لى وأنا صغير إذا لعبت كرة فى فريق كبير وشاهدتك على شاشة التليفزيون ونطق كابتن «محمد لطيف» اسمك فى تعليق على مباراة سأحقق لك أى حلم تتمناه وقتها، فانتهزت الفرصة ورفعت سقف أحلامى وطلبت منه سيارة؛ خصوصًا أن فى ذلك الوقت مَهما كنت بطلا لم يكن النادى سيهدينى سيارة كمكافأة، وفعلا أول مباراة شاركت بها للأهلى وضد فريق السويس تقريبًا وكانت مذاعة على التلفاز عام 1979فوجئت به يرسل لى مبلغ ألفى جنيه، وهو مبلغ ضخم جدًا فى ذلك الوقت، وكان سعر السيارة التى وقع اختيارى عليها 1850 جنيهًا، كانت ماركتها (فيات 128) موديل 1974 وكان عمرى وقتها 17 سنة، وبموجب عَقدى فى موسم 1979-1980 كنت أتقاضى ثلاثين جنيهًا فى الشهر وكانت تزيد إلى مئة جنيه فى حالة الحصول على مكافآت.

لم يكن يمنح أيامها شنطة ملابس لكل لاعب.. فقط كان هناك «فانلة المباراة»، بمعنى أنه إذا كنت أنا من سيلعب المباراة أرتدى الفانلة ولو كان لاعب آخر فهو من يرتدى الفانلة ونقوم بتسليمها للنادى بعد صافرة الحَكم بنهاية المباراة مباشرة.

العائد لم يكن خياليًا، والنجومية لم تكن بهذا الحجم التى عليه الآن لمكانة لاعب الكرة فى المجتمع، فقط تشعر بها عندما تصبح لاعبًا للفريق الأول.

لكن، لا أنكر أنه منذ التحاقى بفريق الناشئين فى النادى الأهلى شعرت بأننى الفتَى المدلل فى الأسرة والمدرسة؛ خصوصًا فى التسامح معى فى أيام الحضور ورفع الغياب، وقبل أن أستمتع

إرادة الله شاءت أن أفقد أخى وابنى وأبى فى عام ونصف، ورحمته أنقذت حياة والدتى من الـ«كورونا»

بكل هذا وأفرح لأن الحياة ابتسمت لى، انتهى كل هذا التدليل واصطدمت بمعاناة شديدة فى الثانوية العامة وكانت وقتنا عامًا واحدًا فقط، ورسبت فى مادة اللغة العربية، رُغم أنها كانت بالنسبة لى مادة سهلة طوال سنوات الدراسة، ولم يكن هناك نظام للمَلاحق، فلم يكن هناك بديل (هاعيد السَّنة ومعاها كل المواد)، كان ذلك فى عام 1979 كما قلت سابقًا،

وهو بداية التحاقى بالفريق الأول للنادى الأهلى وبداية نجوميتى وشهرتى الحقيقية، وبينما أخطط لانطلاقى فى عالم الكرة والالتحاق بالجامعة ودخول أى كلية ظهرت النتيجة وبدأت معاناة تحمُّل ضغط متابعة الدروس والمذاكرة بالتزامن مع التدريبات والمشاركة فى مباريات الدورى وأى بطولات أخرى، وبالفعل اجتزت الثانوية ونجحت بعد عام شاق كان من أصعب الفترات فى حياتى، ما بين ضغوط التدريبات ومباريات مع الفريق الأول لأكبر ناد فى مصر فى الدورى ومباريات أخرى مهمة، وما بين الثانوية العامة، وما أدراك ما هى فى السبعينيات.

■ استراحة أمْ معركة!

فى عام 1991 عندما شعرت بالتضييق علىّ فى النادى الأهلى ومحاولة عرقلة مشوارى وإنهائه اخترتُ أن أبعد لمدة عام فى الدورى العُمانى فيما يشبه الاحتراف وقتها.. فاحترفت فى صفوف نادى «صحار» العُمانى فى أغسطس 1991 فى الخارج وبدلا من أن تصبح فترة استرخاء فوجئت أن رئيس النادى هناك يتدخل فى كل كبيرة وصغيرة بالإضافة إلى أن الفرقة كانت ضعيفة جدًا فكنت أبذل مجهودًا مضاعفًا، وكان معى «أيمن منصور» و«صابر عيد»، وكان المدرب تونسى الجنسية، وكنا نقاتل لنحقق أى شىء للنادى؛ لأنه كان نادى درجة ثانية وكنا نحاول أن نصعد به للدرجة الأولى.

وفى إحدى المباريات لعبنا وتعادلنا، وكان ذلك بعد ميلاد ابنى الثانى محمد فى أول أكتوبر 1991 وكانت المباراة يوم الأربعاء ولدينا راحة حتى يوم السبت موعد التجمع التالى للفريق للتدريب، فقررت السفر لمدة 48 ساعة للقاهرة لرؤية المولود والعودة للحاق بالتدريب مع بداية الأسبوع، وبالفعل أبلغت المدرب ولم يعترض بل وأوصلنى للمطار بسيارته، وسألته هل نبلغ رئيس النادى؟ قال إن الأمر لا يستحق والفريق (كده كده إجازة) المهم ألا أتأخر

فى العودة، وبمجرد وصولى إلى مصر وبعد أن ارتحت قليلا، شىء ما دفعنى للاتصال بكابتن «أحمد محمود» مدلك الفريق، وهو مصرى، وأنا من رشحه للتعاقد مع الفريق العمانى.. المهم أنى اتصلت به لأسأله عن الأحوال وهل موعد التدريب كما هو أو قاموا بتعديله، وفوجئت به يخبرنى أن رئيس النادى عندما عرف بسفرى قلب الدنيا رأسًا على عقب وتوعّد بملاحقتى قضائيًا وإبلاغ الاتحاد الدولى والعربى والمصرى لكرة القدم، وقال إن طاهر (شرد)، وهى باللهجة العُمانى تعنى أن (طاهر هرب) وأنى أخليت ببنود التعاقد، والأسوأ أنه قرر مخاطبة إدارة الجوازات فى سَلطنة عُمان لتقوم بإلغاء تأشيرتى لكى لا أستطيع العودة وبالتالى يكمل خطته فى اغتيالى كرويًا ومعنويًا إذا لم أكن ضمن الفريق فى تدريب يوم السبت!

لم أستغرب، فأنا أشعر بشىء من الحقد والغل فى التعامل معى منذ وصولى، كان يترجم في كل مباراة على صورة التحامات قوية وضرب ولعب بخشونة، فكنت أخرج من كل مباراة وكأنها (علقة ساخنة) أو مصارعة وليست كرة قدم، لكن لم أتخيل أن يصل الأمر لانتهاز الفرصة لإنهاء مسيرتى الكروية بهذا الشكل.

المهم أننى بحثت عن تذكرة عودة على كل شركات الطيران حتى وجدت رحلة على الخطوط الخليجية، لكن عن طريق الدوحة (طيران غير مباشر)، ولك أن تتخيل أن كل هذه الاتصالات والضغط تم خلال أقل من 24 ساعة ما بين وصولى فجر الخميس وحتى غادرتُ مطار القاهرة عصر الجمعة، فلم أستمتع بالإجازة مع أسرتى أو أفرح بالمولود الجديد.

وكانت رحلة شاقة استغرقت نحو عشر ساعات من «القاهرة» إلى «الدوحة» ترانزيت، ثم منها إلى مطار «مسقط» الذى وصلته نحو الساعة الواحدة بعد منتصف ليل الجمعة.

دخلت المطار ووقفت أمام موظف الجوازات الذى ظل ينظر فى الباسبور لأكثر من خمس دقائق مرّت وكأنها سنوات، كنت مرعوبًا أن يكون رئيس النادى قد نفّذ تهديده وقام بإلغاء التأشيرة وأمنَع من الدخول ويتم ترحيلى للقاهرة، ووقتها سيقوم باتخاذ الإجراءات التى هدّد بها، ولكن فوجئت بالموظف يقول «هلا بيك»، فتنفست الصعداء، وفى الصباح كنت فى التدريب وانتهى الأمر ولم يستطع أن يفعل أى شىء وأصبح موقفه هو الأسوأ، وأن كل ما قاله كان مجرد شوشرة وشائعات، ولم أستمر هناك كثيرًا، فقد عدت إلى النادى الأهلى فى 10 ديسمبر 1991.

■ فقدان الأحبَّة

فى مراحل من حياتى كان فقدان عام فى مرحلة تعليمية أو فرصة احتراف أو تعاقد أو لعب مباراة مهمة أو الاستبعاد من المشاركة فى بطولة شىء كنت أظنه مؤلمًا ونهاية العالم، لكن قدّر الله أن أعرف المعنى الحقيقى للألم بفراق أحب الناس لقلبى، وفى وقت متقارب (أخى حسام ومن بعده أول مولود لى وكان اسمه «حسام»، ثم أبى- رحمة الله عليهم جميعًا) إحساس غير طبيعى وألم لا يوصف ولحظات تتوقف عندها الحياة وينتهى عندها كل شىء.

رغم استغناء الأهلى عنّى فضلتُ الاعتزال عن ارتداء «فانلة» فريق آخر

«حسام» أخى كان رائدًا فى قوات حفظ السلام، وكان لديه مهمة فى دولة زائير فى إفريقيا عام 1988و كان عمره 32عامًا وأنا كان عمرى 26 عامًا، وكنت وقتها فى يوغوسلافيا عندما أبلغونى بالخبر واضطررت لركوب ثلاث أو أربع طائرات لأصل إلى القاهرة؛ لأننى لم أجد وقتها «طيران مباشر».. ياه إنها لحظات لا أريد أن أتذكّرها.

والأصعب أن بعدها بشهور وفى ديسمبر 1989 فقدت والدى، وفى الشهر نفسه فقدت طفلى الأول وكان اسمه «حسام» على اسم أخى- رحمة الله عليهم جميعًا- وكنت قد اخترت له اسم أخى الراحل لأنه وُلد بعد وفاته بشهور، لكن شاء الله أن يسترد أمانته، ولكن وهبنى الله من بعده ابنى «محمد» (أطال الله عمره).

ثم حدثت أزمة مباراة الجزائر17 نوفمبر 1989 المؤهلة لكأس العالم 1990 التى حُرمت من المشاركة فيها، وكنت أظنّها نهاية المطاف وأكبر مصيبة، إلا أن بعدها بعشرة أيام أصيب والدى بالضغط العالى ونزف من أنفه وأصيب بجلطة ثم توفّى.

تحمّل والدى وصبَر صبرًا شديدًا واحتسب عند الله وفاة «حسام» أخى قبلها بعام ونصف العام، ثم جاء ما تعرضت له من ظلم قبل مباراة الجزائر ليزيد الضغط عليه فتعلمت أن أقول (إنّا لله وإنّا إليه راجعون).

وهناك أزمات أراد الله أن لا تزيد وجع قلبى، فأمى عمرها الآن 82 عامًا وأصيبت بالـ«كورونا» منذ 3 أشهُر، لكن شاء الله أن تمر بسلام، الحمدلله.

■ الاعتزال نهاية وبداية

فى عام 1992 دفع بى المدرب لمدة ثلث ساعة فقط، وكان وقتها الفريق فى حالة ضعف شديد بدنيًا ونفسيًا، واللاعبون مجهدين ويلعبون المباراة تأدية واجب وأكبر هَمّهم أن ينتهى وقت المباراة بأى شكل ليذهبوا للراحة ولا يبحثون عن تحقيق اللقب، وعندما دخلت أرض الملعب وسمعت هتاف الجمهور الأحمر باسمى قمت بإشعال الملعب وحاولت إنقاذ ما يمكن إنقاذه فى الوقت المتبقى، فتحمّس الفريق حتى أكرمنى الله عندما أرسلت قذيفة مدوية من نصف الملعب فى الوقت القاتل من نهائى كأس مصر ضد

طاهر مع منتخب الجوهرى

صالح سليم

الزمالك، فارتدت من الحارس حسين السيد إلى قدَم أيمن شوقى فسجّل هدف الفوز.

بعد حياة كروية حافلة بالإنجازات، ورصيد كبير من حب الجماهير، وبعد مساهمتى الكبيرة فى الفوز ببطولة كأس مصر عام 1992 جاءت مفاجأة الاستغناء عنّى، فإدارة النادى الأهلى المصرى قررت الاستغناء عن 7 لاعبين دفعة واحدة فيما عُرف بـ«المذبحة الكبرى»، وكانت المفاجأة المدوية أن من بين الأسماء هو اسمى.. الكابتن/ طاهر أبوزيد صاحب الـ 31 عامًا وقتها، بالإضافة إلى كابتن/ علاء ميهوب، وكابتن/ ربيع ياسين، ورغم حصولى على العديد من العروض؛ فإننى قررت الاعتزال والاتجاه إلى خدمة النادى الأهلى بشكل آخر.

ربما كانت مفاجأة فى ظاهرها لكن كنت متوقعًا ذلك بسبب الشواهد التى سبقت هذا القرار بفترة كبيرة، وإن كان قرار الاستغناء عنّى من النادى كان معاناة كبيرة إلا أن المعاناة الأكبر هى تمسكى بعدم ارتداء (فانلة) غير (فانلة) الأهلى فى ظل كمية إغراءات غير عادية من كل أندية مصر، وأهمها الزمالك والإسماعيلى والمصرى، وآخرها كان العرض الأكثر إغراءً؛ حيث عرض علىّ المرحوم عبدالوهاب قوطة عقدًا بـ300 ألف جنيه عن طريق أحد الأصدقاء لمدة عامَين، وهو رقم مرعب وقتها، وهو كان مستعدًا أن يقدم أى شىء مقابل انتقالى؛ لأنه كان يستعد لخوض الانتخابات على رئاسة النادى أمام «سيد متولى»، وكان يريد أن يبهر جمهور النادى المصرى بضم اسم كبير ونجم بهذا الحجم، كان

هربت من صراعات النادى الأهلى لأدخل فى معارك أشد وأعنف فى سَلطنة عُمان

ذلك بخلاف الراتب والامتيازات التى كنت لأحصل عليها لو وافقت، وفى هذا الوقت كان كل ما أملكه من سيولة نحو ألفى جنيه فقط، بالإضافة لشقتى وسيارتى، كنت أسمع العروض وأجلس مع المفاوضين وأنا بداخلى رافض أن ألعب لناد غير النادى الأهلى حتى بعد ما حدث منّهم فكان قرار الاعتزال نهائيًا.

وكلما خططت لمباراة الاعتزال لا تتم لأسباب أعلمها جيدًا، كان فى تضييق شديد جدًا وعناصر فى النادى للأسف كانت تحاول منع إقامة مباراة اعتزال تحمل اسمى إلى أن تحركت لإتمام كل شىء بنفسى، ذهبت إلى السعودية واتفقت مع نادى الاتحاد السعودى وتحمّلت تذاكر طيران الفريق وإقامتهم كاملة على نفقتى الخاصة لتكون أول مباراة اعتزال جادة وليست شرفية.. وقمت بطباعة التذاكر وأعطيتها للنادى على اعتبار أن المنظمين سوف يقومون بتسويق التذاكر فى منافذ البيع العادية والترويج للمهرجان.. ولكن فوجئت أن كل هذا تم حجبه عن الجمهور، وكانت حربًا شرسة.

قبل المباراة بساعة ونصف الساعة فوجئت أن الأستاد فارغ من الجمهور وأن التذاكر اختفت ولم تطرح للبيع، وبعدها بنصف ساعة أخبرنى عزمى قريطم أن هناك نحو 30 ألف مشجع على الباب ويبحثون عن تذاكر، فقلت له افتحوا لهم الأبواب وأدخلوهم من دون مقابل (دَخل الناس مش عاوز فلوس)، ووفقنى الله، وكان ختامها مسكا رُغم المؤامرات.

بعد مباراة الاعتزال بتسعة أيام دخلت انتخابات مجلس الإدارة وحيدًا مستقلا بعيدًا عن جبهة الرمز صالح سليم بكل رجاله، ونجحت.. كل هذه الظروف وكل هذه العراقيل لو لم أكن لدى روح التحدى لم أكن أحقق أى نجاح.

■ ■

د. محمد قورة: سؤال أخير هل تحب أن توجه نصيحة لأى شاب يشعر بالقنوط والإحباط والشعور بعدم وجود فرص أو يتحجج بمصاعب كثيرة فى حياته بخلاف أن تنصحه بسماع تجربتك؛ ما الذى تقوله له وتنصحه به كشخص رُغم كل الحروب والمصاعب تحققت.. كابتن النادى الأهلى وكابتن منتخب مصر ووزير رياضة وبرلمانى؟

– يجب أن يكتب كل شاب قصة كفاحه وهو يعلم أن الطريق ليس مفروشًا بالورود، بل يحتاج إلى جَلَد وصَبر وطموح، والأهم من ذلك الإيمان بالله وبالنصيب والرزق أنه مقسوم ولن يمنع وصوله لك أحد، وأن تقوم بما عليك وتطوّر من نفسك ولا تستسلم فى الوقت الذى تكون متأكدًا فيه من أن الطريق مغلق، أو أن فرصة ما ضاعت منك، استمر فى المحاولة لا تعرف ما هى تدابير الله عز وجل. ■

سامية صادق

1 المنفى الاختيارى أمريكا.. الحلم والوهم

لم أكن من المهووسين بالولايات المتحدة الأمريكية ولا من أرباب الحلم الأمريكى.. ولم تبهرنى الدولة العظمَى التى يقال إنها تحكم العالم فى المرّتين اللتين زرتها فيهما من خلال المشاركة فى مؤتمرات رسمية.

ولم تكن أمريكا فى اللحظات التى قررت فيها الهروب من الضغوط والآلام التى حاصرتنى بعد وفاة والدتى سوى دولة أملك تأشيرتها.. أعلم أن الأمر ليس باليسير، وربما يحملنى ما لا أطيق من الناحية المادية.. لكن لا يهم أبدًا.. المهم أن أسافر.. أن أحاول أن أصنع أى جديد.. أن تهب رياح التغيير على حياتى الرتيبة.. تهبط الطائرة فى مطار (نوارك ليبرتى) بولاية نيوجيرسى.. وقلبى يزداد انقباضًا.. أقف فى الطابور الذى تتراص فيه الجنسيات المختلفة ما بين البيض والسود والآسيويين والأوروبيين من مختلف الأشكال والأعمار لإنهاء إجراءات الدخول..كان مطارًا صغيرًا مختلفًا تمامًا عن مطار نيويورك(كنيدى جى فى كيه).. الذى نزلت فيه خلال الزيارتين السابقتين للولايات المتحدة الأمريكية..

تقترب منّى سيدة ربما تكون فى الستين من العمر أو أكثر قليلا وتقول بلهجة مصرية وهى تمد لى يدها بورقة:

والنبى يا بنتى اكتبى لى دى (..)

فعند الوصول للمطار نتسلم استمارة لملء بياناتنا وأسباب زيارتنا والعنوان الذى نتوجّه إليه حين نخرج من المطار.

كانت السيدة مصرية وتحمل على يدها لفافة كبيرة يبدو أنها حلوى.. لمحت عليها اسم محل حلويات مصرى شهير.

أنظر إليها بود وأنا أبتسم لها محاولة أن أطمئنها، فكانت ملامحها لا تخلو من قلق واضطراب.

أتناول الاستمارة الخاصة بها.. وأسألها وعيناى على الطبق الذى تحمله..

هل سيسمحون بدخول الحلويات؟

ترد بلهجة طيبة واثقة:

نعم.. لقد جئت مرّتين من قبل لحضور ولادة ابنتى المتزوجة فى مدينة بايون.. وكنت دائمًا أدخل بالحلويات.

وتخبرنى أنها جاءت لحضور ولادة ابنتها.. وأن ابنتها وزوجها ينتظرانها فى صالة الوصول..

أحاول ملء الاستمارتين؛ استمارتى واستمارة الأم المصرية.. تقابلنى بعض الخانات لا أفهمها ولا أستطيع ملأها.. أقف فى الطابور خلف السيدة ننتظر ختم الدخول من موظف الجوازات.. تصل السيدة أمام موظف الجوازات وتختم جوازها وتخرج قبلى.. ويجىء دورى ويختم الموظف الجواز بسهولة بعد أن سجلت بصمة العين.. ويمنحنى تصريح دخول بستة أشهُر لو تعديتها دون العودة لمصر أو دون مدّها من الجهات الرسمية بالولايات المتحدة ستة أشهُر أخرى أكون قد كسرت التأشيرة وخالفت القانون ولا يُسمح لى بدخول أمريكا مرّة أخرى.

ينتظرنى أمام باب الخروج أحد معارفى وقد جاء بصحبة زوجته المصرية المحجبة..كانت الأمطار غزيرة والجو باردًا كئيبًا.. يصافحنى ويحمل عنّى حقائبى إلى سيارته.. وتعانقنى زوجته بحفاوة.

> **لم تكن الحياة سهلة كما يعتقدها البعض، فمن لا يعمل لا مكان له فى هذا المجتمع**

نصل إلى الشقة التى استأجرتها بمدينة (جيرسى سيتى)، تلك المدينة التى تضم تجمعًا مصريًا كبيرًا حتى إنهم يطلقون عليها (شبرا أمريكا).. كانت الشقة تقع بالدور الأرضى فى بيت مكون من ثلاثة طوابق.

■ خوف وبكاء

ينصرف الزوجان بعد أن اطمأنا على وصولى.. لأجد نفسى بمفردى فى بيت غريب وبلد بعيد وقارة بعيدة فى ليلة شديدة البرودة والكآبة.. حتى إننى ظللت أبكى بحرقة طفل صغير فقد أمّه.. لقد شعرت فى هذه اللحظة باليُتم الحقيقى.. صحيح ماتت أمى وسبقها أبى بعشرين عامًا وصرت يتيمة الأبوَين ولكن يظل اليُتم الذى يسببه غياب الأوطان أقسى أنواع اليُتم.. كنت أشعر بهذا اليُتم فى تلك اللحظات.

..لم أنم هذه الليلة ولم يغمض لى جفن؛ خصوصًا أنه كانت هناك حركة ودبيب خطوات أسمعها قريبة جدًا من أذنى فى غرفة نومى التى تتكون من سرير ومرتبة ودولاب حائط.. ربما تصدر من السقف أو الشقة التى تعلونى وعرفت بعد ذلك أنها طبيعة الأسقف الخشبية فى البيوت الأمريكية، التى تجعل الصوت والحركة ينفذان إلى الجيران وربما تسمع حوارًا يدور بين شخصين فى الطابق العلوى بوضوح.

Jersey City

■ **بومة وسنجاب**

وكانت المفاجأة السّارة فى تلك الشقة الصغيرة هى الحديقة؛ حيث كان ملحقًا بها حديقة جميلة بها شجرة كمثرى مثمرة ومائدة وكراسى وشواية.. يلفت انتباهى «بومة» تقف على السور الذى يفصل حديقتنا عن حديقة المنزل المجاور.. فى البداية ظننت أنها حقيقية وانتظرت أن تطير لكننى وجدتها ثابتة لا تتحرك، ولاحظت أنها محنطة فتبدو كما لو كانت حيّة بريشها ووجهها المستدير وعينيها اللامعتين.. وعرفت أن الأمريكان يتفاءلون بالبوم بعكسنا- نحن المصريين- نتشاءم من نعيقه.. كما أننى أرى سنجابًا يتجول فى الحديقة بذيله الطويل وحين يلمحنى يجرى ويختبئ.

■ **من دون خطة**

لم تكن الحياة سهلة كما يعتقدها البعض، فمن لا يعمل لا مكان له فى هذا المجتمع.. ويمكن أن تشاهد نماذج ناجحة جدًا حققت ثروات كبيرة ومكانة مرموقة.. ونماذج أخرى فاشلة جدًا رُغم وجودها فى المهجر منذ عَقد أو عَقدين.. والفرق بينهما أن الذى نجح استطاع أن يحدد هدفه ويرسم لنفسه خطة، بل وخططا بديلة.. كما أنه عمل طويلا واجتهد إلى أن تحقق الهدف.. أمّا النوع الآخر فلم يكن يحدد ماذا يريد وظل يتخبط دون اجتهاد حقيقى ولم يحقق شيئًا.

وكنت أنا من النوع الثانى.. لقد ذهبت إلى أمريكا دون خطة أو خطط بديلة، ربما

هناك تجد نماذج ناجحة حققت ثروات كبيرة ومكانة مرموقة.. ونماذج أخرى فاشلة رُغم وجودها فى المهجر منذ سنوات

كنت أعرف أن هدفى هو التغيير وأننى سأعمل مراسلة للقنوات الفضائية التى اتفقت معها قبل قدومى!!

لقد تمنيت أن أنقل للمواطن المصرى أمريكا التى لا يعرفها..أن أركز على النماذج الناجحة وعلى النقاط الإيجابية فى تلك الدولة التى تحيّر العالم.

■ **بقالة مصرية**

ظللت عدة أيام أخاف أن أخرج بمفردى من البيت حتى لا أتوه أو أضل طريقى أثناء العودة.. رُغم أن أحد معارفى هناك جاءنى فى اليوم التالى واصطحبنى للشارع ليُعَرّفنى كيف أتحرك وكيف أركب الأوتوبيس حتى إنه ركب معى الأوتوبيس ولا حظت أن المسافة بين بيتى فى شارع(لينكن) وموقف الأوتوبيس فى شارع(كيندى بوليفارد) دقيقتان سيرًا على الأقدام.

كنت حريصة أن أعرف أجرة الأوتوبيس فأخبرنى أنها ثلاثة دولارات إلى نيويورك ودولار ونصف داخل شوارع جيرسى سيتى؛ حيث إن المسافة بين جيرسى سيتى ونيويورك نحو نصف ساعة.. وأصَرّ على أن يدفع هو الأجرة حتى ميدان «جورنال سكوير»، وكانت دولارًا ونصف للفرد.. وفى هذا الميدان فوجئت بعدد كبير من البقالات العربية والمصرية وعيادات الأطباء ومكاتب المحامين والمحاسبين العرب.. حتى إنه أشار لى على عمارة قديمة تضم عددًا من المكاتب وأخبرنى أنها ملك رشاد عثمان رجل الأعمال الذى أدين فى قضايا فساد فى عهد الرئيس السادات..

وكنت قد اشتريت خط تليفون اشتراكه الشهرى 40 دولارًا، وأعجبت كثيرًا بنظام الاتصالات؛ حيث تطرح عدة شركات خطوطا فى منافسة لصالح المستهلك تبدأ من 20 دولارًا فى الشهر إلى 60 دولارًا للخط شامل المكالمات غير المحدودة لأى ولاية فى أمريكا وكندا.. كما أن المكالمات مفتوحة وغير محدودة طوال الشهر.. كما يشمل الخط خدمة الإنترنت طوال 24 ساعة مجانًا..

كما كنت أشترى رصيدًا دوليًا بعشرة دولارات شهريًا يشمل مكالمات لمصر لمدة ساعتين. ■

(يتبع)..

خواطر سفر..

المصور العالمى
خـالد أبو الدهب

فى سفح الهرم؛ حيث يتواجد أهالينا من نزلة السمان وصعيد مصر، ممن يعملون فى السياحة وركوب الجمل؛ الموضوع يبدو لنا فى غاية التقليدية، ولكنه للسائحين هو حدث كبير بداية من تواجده فى الأساس بجوار الأهرامات وأيضا ركوبه للجمل فى هذه النقطة بالذات..

والحقيقة بدا لى الموضوع بالمثل وذلك لسفرى الدائم بعيدا عن مصر؛ فمن الأشياء اللى اكتشفتها إنى لم أذهب للأهرامات فى سن مبكرة، وفجأة ابتعدت عن مصر؛ فبدأت أستمتع بهذه الرحلة وكأنى بالفعل خواجة؛ وبدأت أراقب عم حسين فى بساطته وسعادته الغامرة على وجهه كما ترون؛ ولاحظت أن كل المجهودات المبذولة من الدولة لتنمية السياحة من العاملين إلى وزير السياحة قد تبلورت فى أيدى هذا الرجل البسيط؛ فإن أحسن التعامل مع الخواجة نجحت كل هذه المجهودات وإن أخفق باءت كل هذه المجهودات بالفشل؛ نعم هذه هى خطورة دور هذا الرجل البسيط؛ لذا أخذت أتعايش معه وأراقبه عن كثب؛ فوجدت أنه يجيد التصوير الفوتوغرافى لأن بطبيعة الحال «الخواجة» يطلب منه أن يصوره مع الهرم وهو يركب الجمل؛ كما أنه دليل وخبير فى صحراء ما حول الهرم؛ يعرف أهم المناطق التى بها زوايا تبين جمال الأهرامات وتضعها فى منظور جمالى ساحر للتصوير؛ بالفعل عم حسين أخذنى إلى مناطق ما كنت أذهب إليها لولاه، مما ساعدنى فى التقاط صور مميزة للهرم؛ يتحدث ثلاث لغات بطلاقة؛ وقفت على علاقته بالجمال التى يمتلكها هو شخصيا وطريقة تعامله معها؛ فهو ليس فقط يرفق بها لكونها روحا وحيوانا؛ لا، هو يتعامل معها كشريك نجاح ورفيق درب فى الحياة؛ فهو فرد من أفراد عائلته لأنه السبب للتكفل بالعائلة بأكملها؛ ويفعل ذلك عن حب شديد ويظهر هذا الحب والعشرة على الملامح؛ لوهلة حسيت إن عم حسين يشبه وجهه وجه الجمل وحتى ضحكتهم نفس الشىء؛ فى وقت قصير عايشت مواقف كثيرة مع هذا الرجل المميز؛ أقواها ضحكته الجميلة التى ترسم ملامحه بشكل صعيدى أصيل؛ على الرغم من أن أسنانه تبدو بحالة غير جيدة ولكن هذا لم يوقفه عن الابتسامة الكبيرة التى تبهج كل من حوله؛ وقعدت أفكر فينا لما الواحد بيكون طرف سنته اتكسر لا يجرؤ على الابتسامة بربع ابتسامة عم حسين؛ بل نستحى ونضع يدينا على فمنا من الشعور بالخجل؛ عم حسين بقى معندوش حساباتنا لإن هو عنده السعادة الحقيقية؛ السعادة الداخلية والرضا بالحال وحب الذات بما هى عليه؛ جعلت من وجهه جمالا ساحرا؛ يتفق عليه كل من يرى هذه الابتسامة حتى ولو كانت ليست بابتسامة هوليوود المتعرف عليها، فهو عنده ابتسامة السعادة الحقيقية؛ الابتسامة الإنسانية غير المصطنعة؛ ابتسامة من القلب ابتسامة عم حسين غير الهوليوودية. ■

روح وحياة

الثعلب والإنسان.. إعادة تصنيف

أيهما «المتوحش» ومن «الأليف»؟

محمود سماحة

البشر بعضهم شياطين، ومنهم الملائكة.. الشياطين منهم ليس لهم قرون بل لهم أفعال مخجلة، والملائكة لا تحتاج أن ترى أجنحة بيضاء لتعرفهم، تستطيع أن تميز شخصًا يحمل صفات ملائكية عندما ترى أفعاله؛ أو تسمع قصصًا مميزة جدًا قام بها.. أحدهم هى (Mikayla Raines) أمريكية من ولاية مينيسوتا.

بالتأكيد صادفك وأنت تتصفح اليوتيوب أو الفيس بوك فيديو لها وهى تلاعب الثعالب وتدللها وتطعمها، عندما كان عمرها 15 عامًا عثرت على ثعلب صغير فى حالة سيئة بحديقة منزلها الخلفية وبجوار آلة رش العشب.. وخاضت تجربة لتربية أول ثعلب لها بعد أن أنقذت حياته، وعندما أصبح عمرها 18 عامًا قامت بدراسة العلاج البيطرى مع دراسة إعادة التأهيل للحيوانات، وتطور الأمر لتطلق موقعًا متخصصًا تحت مسمى (إنقاذ الثعالب) أو (SAVE A FOX RESCUE) وتقود مبادرة ضخمة لحماية الثعالب ونشر ثقافة تربية بعض الأنواع المستأنسة منها والتى تصلح للتربية فى المنازل (لكن بشروط خاصة للرعاية) وعلى مدار عشر سنوات قامت بتربية وإنقاذ العشرات منها، لكن الرقم الذى استطاعت حصره منذ إطلاق مشروعها غير الهادف للربح فى عام 2017 وحتى الآن حوالى 150 ثعلبًا أنقذتها من الموت المحقق.

ملاك تمضى سنوات من عمرها بل أجمل سنوات من العمر فى مشروع نبيل وهو حماية الثعالب من الصيادين بغض النظر عما يحققه ذلك من توازن بيئى، لكن بشكل إنسانى هى تحافظ على (روح وحياة) فى وقت يجد البعض بطولة فى قتل هذه المخلوقات الضعيفة.. لا تتعجبوا فالحقيقة العلمية الثابتة أن الثعالب لا تمثل أى أذى أو خطر مباشر على حياة الإنسان، ولا تقوم بأى محاولات لافتراسه، ربما يتمثل الأذى الوحيد الذى يسببه حيوان الثعلب للإنسان فى انقضاضه على حظائر الحيوانات الأليفة من طيور وأرانب.

الثعالب تحافظ على توازن بيئى مهم جدًا، ففى فصل الشتاء فى الأماكن الزراعية يتناول الثعلب القوارض من فئران ويربوع وغيرهما من القوارض، كما يقوم الثعلب فى الصحراء باصطياد الثعابين والزواحف غير السامة ليتناولها، وبذلك هو يقوم بعملية تنظيف للبيئة المحيطة به من كائنات ضارة للإنسان.

الغريب أنه إذا لم يجد فرائس أو مخلفات طعام من اللحوم يقوم بالتغذية على بعض النباتات، مثل العنب والشمام والتوت البرى وبعض الفواكه الأخرى والنباتات.

ورغم أن كل الدراسات العلمية وعلماء الطبيعة يؤكدون على أن الثعلب حيوان غير ضار للإنسان، فإن التاريخ الثقافى الجمعى للبشر بكل اللغات دائمًا ما ينحاز ضد الثعلب؛ والذى دومًا كان يُنظر إليه كلصّ ماكر وخبيث، وتسود معظمَ الثقافات الشعبيّة فكرة عامة عن الثعلب، تَرمُز إليه كتجسيد لقوى بدائية تكون خيِّرة أحيانًا، وشريرة فى أحايين أخرى، وتتمحور معظم الأساطير والمجازات حول صنف واحد، وهو «الثعلب الأحمر».

يؤكد ذلك المؤلف «مارتن والن» فى كتابه (الثعلب.. التاريخ الطبيعى والثقافى) فى الفصل الثانى من الكتاب بعنوان «الثعلب فى الأساطير والحكايات الفولكلورية والمجازات»، ويذكر أن القصص الأسطورية للثعلب تمثّله فى هيئات متعدّدة؛ تشير إلى القوى المختلفة لهذا الحيوان المُدهش.

إلا أن الشىء الوحيد الأكيد أنَ التعريف الأمثل لكلمة «وحش» أنه هو الكائن الذى يهاجم ويصيب ويقتل كائنات أخرى لا يدفعه إلى ذلك غريزة البقاء ولا دفاعا عن النفس ولا الجوع ولا الحاجة إلى الطعام، إنما القتل والتدمير بغرض الاستمتاع والشهرة، فأصبح التعريف يُشير إلى كائن واحد فقط هو.... (الإنسان)!. ■

هشام سليمان

نهاركم سعيد و يومكم بيضحك

السندريلا هاجر أميرة الشعراء

فى كل مرّة وفى كل مقال هنتكلم فيها مع بعض عن لحظة سعادة.. ممكن تكون اللحظة دى فيها سعادة لكل اللى حواليك، وتكون لحظة حزن ليك انت شخصيًا، والعكس كمان ممكن يحصل تكون لحظة سعادة ليك وتكون لحظة حزن لكل اللى حواليك.. لحظات سعادة كتير هنتكلم عنها بتحصل لناس كتير، سواء لحظة سعادة بالنصر أو لحظة سعادة بوظيفة كان صعب قوى تتحقق لحظة، سعادة بمنصب مستحيل أو لحظة سعادة للشفاء من مرض صعب جدًا الشفاء منه.

كل أسبوع هنتكلم عن لحظات كتير ، واللى هيجمع كل اللحظات دى إنها هتكون لحظات إيجابية دائمًا وأبدًا هحاول أخلى فيها إن نهاركم يبقى سعيد ويومكم بيضحك..

حتى لو الموضوع ميخصكش من قريب أو بعيد بس هيكون فيه لحظة سعادة..

لحظة السعادة بتغيير يوميًا.. واللحظة بتاعت النهاردة هى لحظة تحوّل فيها الحال من حال لحال..

لحظة ولادة هاجر محمد خالد..

أول ما الدكتور بص فى وش هاجر حزن علشانها واللحظة اللى المفروض تبقى لحظة سعادة بولادتها تحوّلت للحظة فيها حزن وخوف على هاجر.. من أمّها ومن أخواتها وكل عيلتها.. مش علشان شكلها لا سمح الله ولكن علشان نظرات الناس ليها هتكون إزاى

هاجر اتولدت فى محافظة أسوان مركز إدفـو.. وهنا ظهر دور الأم اللى واجهت العالم كله ببنتها مخبتهاش عن عيون الناس علشان شكلها، بل بالعكس ادتها الثقة فى نفسها بشكل كبير جدًا وعلمتها أصعب حاجة من وهى صغيرة إنها تحب الشعْر وعلّمتها ازاى تلقيه.. وبقت هاجر بتواجه الناس بشكلها ومش بس كده لا وكمان بتبص فى عيونهم وهى بتلقى الشعر بتاعها..بس كانت أيام صعبة على هاجر جدًا لأن مش كل الناس كانت بتقدر تشوف نظرة هاجر.. كان فى ناس بتبص الناحية التانية.. والناس بتتنمر بمنتهى الوقاحة وتقول لهاجر كلام ميتحمّلوش بشر.. والناس دى مبتتنمّرش على هاجر دول بيتنمروا على خلقة ربنا (أستغفر الله العظيم).. بس علشان الأم جدعة وهاجر جدعة والشعر اللى حبته

هاجر أصبحت أيقونة للسعادة عند الأطفال وعلينا أن نصنع سعادتها .. فمن يفعل ؟

هاجر قوّاها تدَرّجت هاجر فى مراحل التعليم المختلفة، ونظرًا لطبيعة أهل أسوان الطيبة والجدعة وطيبة أهل الأقصر المتسامحة وصلت هاجر للجامعة واتخرجت من كلية الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر بالأقصر بتقدير جيد مرتفع.

ودى كانت لحظة فارقة فى حياة هاجر بعد التخرج؛ لأنها هتسيب أهلها الطيبين وهتنزل على القاهرة، وما أدراك ما القاهرة.. عالم مختلف تمامًا.. أصلا أهلها مش عارفين يعيشوا فيها ونزلت هاجر على القاهرة علشان تحقق أول حلم من أحلامها.. وهو الالتحاق بجامعة عين شمس للحصول على دبلومة.. وجاء الموعد لتحديد الاختبار، وقد اجتازت الاختبار وعند السؤال عن النتيجة بعد المقابلة الشخصية وكانت لحظة صعبة على هاجر لأنها كانت فاكرة إن موضوع شكلها خلاص مرحلة وخلصت فى حياتها بس اتضح ليها إن للأسف.. لا.. لأنها غير مقبولة..

ولمّا سألت عن السبب.. قالولها إن انتى يا هاجر ليس لديكى صفات المعلمة.. (لأن الأطفال هيخافوا من شكلك)..

انتو متخيلين ممكن حد بيسعى إنه يبدأ حياته ويحقق حلمه فى حاجة بيحبها إنه يدرس للأطفال ويقولولو إنه هيخوّفهم بشكله؟.. ودى كانت لحظة حزينة جدًا بالنسبة لهاجر؛ لأن سبب الرفض مش مثلا قلة معلومات تقدر تشتغل عليها وتقويها أو عيب فى اللغة تقدر تشتغل عليها وتعدلها..

العيب فى شكلها اللى ربنا خلقها بيه.. ودى بقى ما تقدرش تعمل فيها حاجة.. وقالت لنفسها: «كده خلاص يعنى اللى كنت بدرسه وبتعلمه طول عمرى وحلمى إنى أقف فى فصل والأطفال يقولولى ميس هاجر خلاص انتهى.. هو ممكن حلم بنى آدم يطير علشان واحد قرر إن شكلى ممكن يخوّف العيال.. وحسيت إن هى دى نهايتى.. يعنى نهاية العالم لأنى كنت شايفة نفسى أنا العالم أو على الأقل العالم بتاعى أنا انتهى.. عالم التدريس والحلم اللى خلاص مش هيتحقق وخلاص حلمى مات».

ولم تجد هاجر من يجبر بخاطرها غير دموعها وآلامها التى لا يعلمها غير الله.. وقعدت هاجر سنتين فى إحباط وبعد سنتين من موت الحلم أخذت هاجر القرار بالتقدّم لأخذ الدبلوم.. بس المَرّة دى من جامعة القاهرة.. وهاجر بتقولى بعد ما عشت هذه الفترة العصيبة.. قررت أخوض التجربة وأجرب حظى وكانت ثقتى فى ربنا كبيرة ومع دعم أخواتى وأمى وتوفير كافة الإمكانيات المادية والمعنوية والنفسية إنى أكمّل حلمى وأحوّل يأسى إلى أمل جديد، وبالفعل تم قبولى للحصول على الدراسات العليا بكلية التربية بجامعة القاهرة.. ودى كانت أسعد لحظة فى حياتى..

ما زاد ثقتى بأننى تلقيت دعم من أستاذتى بالجامعة.. وهذه لحظة سعادة أخرى شعرت بها .. ومن حُسن حظى بأنى أكون مسئولة عن كل ما يخص الدفعة بتكليف من أستاذتى.. ودى لحظة أخرى جميلة فى حياتى.

كما زاد سرورى بحضورى التدريب العملى كانت أول مواجهة لى بمقابلة الأطفال فى المدرسة وكان ينتابنى شىء من الخوف بأن الأطفال هايتريقوا على شكلى ولكنى أحضرت معايا بلونات واستخدمت أسلوب التعزيز.. بالفعل قابلونى بكل حب.. ولأنى أعلم جيدًا ماذا يحب الطفل فى هذه المرحلة.. إن ما يحتاجه هو الحب والحنان وأنا قادرة على إعطاء احتياجات الأطفال من اهتمام وحب.. وبالفعل نجحت التجربة وحصلت على حب الأطفال والكل يسارع لالتقاط الصور التذكارية معى.

وبدأت سلسلة النجاحات لهاجر وأصبحت سفيرة قد التحدى.. سفيرة النوايا الحسنة.. تقوم بإلقاء الشعر فى جميع المحافل وبدار الأوبرا المصرية..

وقدمت برنامجًا لذوى الاحتياجات الخاصة بالبوابة نيوز، وحصلت على الأوسمة ودروع من جهات مختلفة، وشاركت بشخصية «شيكوهاية» لتكون مصدر بهجة بالأعمال التطوعية التى تقوم بها مع صانع السعادة بشخصية «شيكو»، وأصبحت هاجر شخصية معروفة تحاول دائمًا أن تقدم البهجة والسعادة فى المستشفيات، مثل «أبو الريش للأطفال» و«بهية» ومستشفى «الجزام»، و«مؤسّسة معًا لإنقاذ إنسان» ومستشفى العباسية والعديد من الأعمال التطوعية، وتم تكريمها من جامعة أكتوبر وأيضًا كرّمَتْ من سيادة الرئيس بأن سمح لها بأن تلقى شعرًا أمام سيادته بقصر الاتحادية عام 2015 فى حفل حصول والدة هاجر على الأم المثالية من وزارة التضامن.

هاجر عملت اللى عليها منتظرين المجتمع بقى وأصحاب المدارس يعملوا اللى عليهم ويعيّنوا «هاجر» فى مدرسة.. وأنا بخاطب الأب ومعالى الوزير الدكتور «طارق شوقى» وزير التعليم ينظر لحالة هاجر لعل وعسى نستطيع تحقيق حلم هاجر؛ لأنها تستحق.. فهى تعبت واشتغلت على نفسها كتير ومن حقها علينا إننا نساعدها علشان نخلى نهارها سعيد ويومها بيضحك.

..ونهاركم سعيد ويومكم بيضحك. ■

حسن عيسى

"كدهوّن"!

«كورونة» الست «أم عباس»

صرختُ فى وش الست «أم عباس» إللى بتساعدنا فى البيت أول ما فتحت باب الشقة ولاقيتها فى وشّى من غير كمامة وقلت لها بصوت الشاويش عطية: فين كمامتك يا ست انت؟! فرفعتْ إيدها الشمال بسرعة قدّام عينى وكأنها هاتعمل علامة النصر، وقالت أهى يا أستاذ، لابساها أهى.. وبعدين ضحكت برخامة لمّا لاقتنى اتخضيت من الحركة المباغتة إللى عملتها وحسّت إنها كبستنى من أول جولة وأنا بكمّل بصوت مخضوض: انت عملتيها غويشة ليه؟!.. فاخدت نفس عميق قبل ما تشرح للتلميذ البليد: حطاها فى دراعى بدل ما تعرق منّى وأنا مسكاها فى إيدى ولّا تقع على الأرض.. ولسّه هاتف بذكائها وكدَهُوَّن، قلت: يا واد خليك تقيل علشان تاخد الموضوع بجد وماتستهترش بالإجراءات الوَقائية وكدَهُوَّن!

فرسمت على وشّى (111) وقلت لها: وليه تحطيها فى إيدك أصلاً، مكانها فى وشّك يا «أم عباس»، ولّا عايزة تلقطى عدوَى من السوق والزحمة والمواصلات وتعدينا كلنا مع بعض؟

ولأن الحربِ خدعة قررتْ تاخدنى على قد عاقلى وطلّعت الكمامة وحطتها على بؤها وبعدين نزّلتها بسرعة على ذقنها وزورها فى حركة روتينية وكأن ده هو البروتوكول المصرى المتفق عليه فى استخدام الكمامات «احنا كده بنخدع الكورونا فى عُقر دارنا»!!

وبثقة خبير استراتيجى قالت لى: وهو انت مصدّق إن فيه حاجة اسمها كورونا وبتموّت بصحيح؟ فرديت بسذاجة المواطن المتوسط الذكاء: أمّال الناس اللى بتموت دى ماتت إزاى؟!

فقالت وقد بدأت تشك فى قدراتى العقلية: عمرهم كده يا أستاذ، هو يعنى ما كانش فى موت قبل الكورونا دى ما تيجى ولّا الناس هاتخلد فى الدنيا ؟!

الصراحة كلامها مقنع بس كمّلت بصوت «زكى رستم» فى فيلم (نهر الحب) هو بيقطم الست «نوال» انت ماتعرفيش يا «أم عباس» إن ده وباء عالمى وموّت ملايين لغاية دلوقتى ولازم ناخد حذرنا؟

فتاهت منّى ثوانى وقالت لى: يعنى أشتغل ولّا أروّح ؟! فرميت نظرة سريعة على الغابة إللى عايش فيها وقلت لها بصوت مهزوم: طيب اشتغلى بس لو سامحتى ماتقلعيش الكمامة خالص طول ما انتى فى البيت وكدَهُوَّن!!

فبصّت لى باستغراب وهى بتقولى: طيب وأنا هافضل لابسة الكمامة ليه وأنا بشتغل كده هاتخنق منها وبعدين هو حضرتك غريب يعنى؟

فتنرفزت وقلت لها: هو أنا قلت لك البسى الحجاب ياست انتى؟! ما تسمعى الكلام وخلاص دى إجراءات وقائية!.. حسيت إنى لو كملت فى المناقشة دى أكتر من كده هاعيط منها وعمرها ماهاتحترمنى تانى، فأخذت نفَس عميق وأنا بستعد للتقهقر لأدخل غرفتى وأعيط براحتى بعيد عنها.

وفجأة ألاقيها بتطلع كمامتين شكلهم مشبوه وبتقولى: اتفضل دول هدية ليك!! قلت لها بتوجس: جايباهم منين، دول شكلهم غريب قوى. قالت بفخر: «صنع إيديّا وحياة عنيّا».. الحقيقة المفاجأة كانت أكبر من إنى أكمل أسئلتى الغبية، فسكت أنا وترجمتْ هى سكوتى على أنه علامة رضا وقبول بالهدية، فكملت حكى أسطورتها: «أنا قلت أجيب لى قرشين فى يومين الكورونا دى بدل وقف الحال ده وماحدش عايز يشغلنى غيرك، والرزق يحب الخفية، فجبت توب قماش وفصّلته كمامات صغيرة طلعت اتنين وسبعين كمامة بالضبط بعتهم كلهم وسبت لك الاتنين دول هدية».

فتنحنحت وقلت: «بس الكمامات دى لازم لها شروط طبية للحماية مش مجرد حتة قماشة وكدَهُوَّن»!!

مصمَصت شفايفها وقالت: «يا أستاذ إحنا بنلبسها واحنا داخلين المحلات وبعد كده بنزّلها على طول.. يعنى الحكاية مش مستاهلة اشترطات اللى بتقول عليها دى». وبقمصة مفاجئة قالت: «اتفضل بقى وسيبنى أشتغل، البيت كله مكركب ولسّه هاطبخ قبل العيال ما ترجع من المدرسة»، قلت لها وأنا بتفرج على الكمامتين بحذر ومش عايز أمسكهم: ماهو انتى اللى جيتى متأخرة قوى النهاردة. ولفيت علشان أسيبها وأمضى لحال سبيلى.. ردّت وهي بتشيل السجاجيد: «ماهو أنا عديت الأول على «أم حنفى» علشان آخد قسط الجمعية من حبابى عنيها .. تصدّق الوليّة الناقصة هربانة وفاكرة لما تقول إن عندها كورونا هانخاف نقرّب منها ونجرى بعيد، لكن على مين، كان غيرها أشطر»!!!

وهنا اتسمّرت فى مكانى وحسّيت ببوادر شلل رباعى.. فقلت لها: أوعى تكونى رُحتى لها فعلا؟؟؟، ردت عليّا بمنتهى الثقة اللى فى الدنيا «أمّال هاسيبها، دى وليّة ملاوعة، طبيت عليها وقعدت تعطس فى وشّى وتتحشنف وتترعش علشان يعنى تسبّك الكدبة وأصدقها».. فسألتها ببراءة الأطفال: وصدقتيها؟

ردّت بخبرة العارفين: «عيب عليك، فضلت قاعدة على قلبها ومرضتش أمشى لغاية لما ماتت وهى على حجرى»!!

> «أم حنفى» فاكرة لما تقول إن عندها كورونا هانخاف نقرّب منها ونجرى بعيد، لكن على مين، كان غيرها أشطر!! أنا قعدت على قلبها علشان قسط الجمعية لما ماتت على حجرى

حجرك؟! رددتها وأنا مذبهل وحاسس بتنميل فى خدّى الشمال.. وهنا سكت الكلام ومارداش يخرج من زورى غير سرسعة غير مترابطة: «هى مين إلى ماتت ؟! انتى لازم تعملى مسحة حالا»..

فردت وهى بتجيب جردل وممسحة: «طبعًا ياأستاذ، مانا هامسح الشقة كلها وهارش مطهر كمان علشان تطمّن، يا خويا ماتقلقش أنا فاهمة الإجراءات دى كويس»!!، وهنا تركت دموعى تنزل براحتها خالص وبما تبقّى من قدرة على النطق قلت: يا «أم عباس» لازم تعملى تحاليل علشان ممكن تكونى لقطى الفيروس من «أم حنفى» الله يرحمها، أنا عايز أطمّن عليكى. فضحكت للمرة الأخيرة وقالت: «ياخويا ماتبقاش موسوس كده، هى دى أول مرة واحدة عندها كورونا تموت على حجرى ياأستاذ؟!».

يقطع الأستاذ على سنيين الأستاذ، همّا كتير اللى ماتوا على حجرك؟!.. أنا إللى لازم أروح أعمل مسحة، أوعى من سكّتى دلوقتى، أنا بدأت أحس إن الشقة كلها فيروسات من كل شكل ولون وكدَهُوَّن..

وإذ بها وبكل حماس تقول: «لا والنبى مايحصل أبدًا، تقوم تمسح الشقة وأنا موجودة، يا ندمتى، أنا إللى هامسح الشقة، ده أنا لا عشت ولا كنت يا خويا».

رديت وأنا فى مرحلة ما قبل الغيبوبة «كدَهُوَّن انتى لا هاتعيشى ولا هاتكونى ياأختى». عاش حجر أم عباس مقبرة الكورونا وقاهر الفيروسات!! ■

مدينة الطالبات 5

ليلة اغتيال أنوثتى

حلقات يكتبها:

هانى دعبس

لا أرى نفسى جميلة، عيناى بنيتان وبشرتى ليست ناصعة البياض، لكنها نضرة وصافية، الفرنسيون مروا على قريتنا مرور الكرام، ولم يمكثوا كثيرًا فى بلد أمى، فمن أين لى بعين ملونة، لكن حدقتىّ الواسعتين، تملكان جاذبية كبيرة، البنات قِلن لى هذا فى مدينة الطالبات، فعندما انتقلت إليها؛ فتحت عيناى على أشياء كثيرة، لم أكن أفكر فيها أبدًا، وكيف أفكر فيها، وقد كرهت أنوثتى، منذ تلك الليلة المشئومة، التى انتزعوا فيها جزءًا من جسدى، بحجة منحى صك العفة.. أجروا لى عملية الختان فى عامى الثانى عشر، لا أنسى فزعى يومها، وهم يستعينون بممرضة عجوز؛ لاقتلاع جذورى.

لكن أمى كانت مجبرة على الاشتراك فى تلك الجريمة، رغم رفضها لها، حيث حلف والدى يمينًا بطلاقها؛ إذا لم تختنى فى ظرف أسبوع، لتحملنى إلى تلك الممرضة، التى تجاوزت الخمسين، وفجأة فتحت ساقىّ، وكان مشرط واحد كفيلًا بارتكاب مذبحة أنوثتى، ومن دون تخدير، تعالت صيحاتى، وكادت حنجرتى تنفجر من الصراخ، قلت لاااا مائة مرة، لكنها أصرت على اغتيالى، جرى الدم على الفراش الأبيض، وأمى تصرخ هى الأخرى من هول مأساتى.

تساقطت دموعها على ساقى، التى كانت تحملها، لمنعى من التحرك، بينما قيدت صديقة لأمى قدمى الأخرى، وأمسكت الممرضة سلاح الجريمة، ليشع لمعانه فى عينى، أما يداى فاستطعن ربطهما فى ظهر السرير الحديد، وفجأة فقدت الوعى، وكأن الله أراد تخديرى؛ لينقذنى من ألم اغتيالى، إلا أننى عشت أوجاعًا مميتة استمرت لأكثر من أسبوع، لا أطيق فيها فعل أى شىء، كنت أخاف من شرب الماء حتى لا أضطر لدخول الحمام، ونزع لفافة القطن التى تشقنى نصفين من الأسفل، كان هذا مؤلمًا حد انتزاع الروح.

لا أحكى لكم هذه القصة كى تتألموا، أو تتعظوا، فالجميع فى بلادى يعلم بالمأساة؛ ويصر على ارتكاب الجريمة فى بناته، غير عابئ بوأدهن نفسيًا، وقتل أنوثتهن واغتيال رغباتهن، لكن مفارقات القدر؛ أجبرتنى على حكى تفاصيل هذه الليلة المرعبة.. والآن إليكم الصدمة؛ تصوروا أننى اتبعت خطوات العمدة، بعد خروجى من منزلى، لأجده يقودنى إلى منزل تلك الممرضة؛ التى اقتلعت جذورى، وفجأة وجدتها أمامى بعدما صعدت السلم، الذى أعلم تمامًا أننى خطوت عليه من قبل، يا لهول الفاجعة!

■■

وضعت يدىّ على وجهى، لا أطيق رؤية هذه السفاحة، تجمدت ملامحى، وتثلجت يداى، سألت نفسى: كيف سأعيش مع قاتلتى تحت سقف واحد؟ رغم أننى لم أكن أعلم وقتها حجم العلامة المأساوية التى تركها مشرطها فى جسدى، ونفسى، إذ أدركتها متأخرًا جدًا، عندما عرفت أننى أصبحت أنثى ناقصة، لن تشعر يومًا بالطبيعة التى خلقت عليها، ببساطة تلك العلامة؛ يُمكن أن تتحول إلى المأساة الأكبر فى حياتى، يومًا ما.

> أدركت مؤخرًا أننى أصبحت **أنثى ناقصة** لن تشعر يومًا بالطبيعة التى خلقت عليها

وفجأة اقتربت السفاحة منى، رافعة صوتها بالتهانى، رفعت عينى تجاهها بتحد، وهززت رأسى من أعلى لأسفل، غير قادرة على الرد عليها بكلمة واحدة، فاقتربت أكثر وأكثر، لأرى علامات العمر؛ وقد محت ملامحها، التى أحفظها عن ظهر قلب؛ منذ يوم الجريمة.. ولم أفق من غيبوبتى الداخلية، إلا عندما وجدت يدها تربت على كتفى، يا الله، لم أشعر بهذا الإحساس منذ رحيل أمى، لكننى أرفضه الآن جملة وتفصيلًا، لتبتعد عنى هذه المرأة حالًا، لا أطيق رؤيتها.. هذا ما تمنيت قوله وقتها، لكننى لم أستطع.

ألم تشعر تلك العجوز بكرهى لها؟ ما لها ترسم هذه الابتسامة الرقيقة، وفى عينيها دموع، تزيدها بريقًا ولمعانًا؟ قلبى الصغير ما عاد يحتمل تلك الصدمات الحانية.. أتنسى ما اقترفته يداها فى مشاعرى؟ قتلت منها الكثير بدم بارد، أم أنها تطلب منى الصفح والنسيان؟ والله لن أسامحها أبدًا على جريمتها.

يا ليتنى ما حلفت، فقد كلفنى هذا القسم صوم ثلاثة أيام فى عز الحر؛ لتكفيره، عندما اكتشفت أن تلك السيدة

رواية

الفصل الخامس

لا تستحق هذه القسوة، حتى لو كانت جانية، يكفينى ما فعلته معى فى أول سنواتى الجامعية، كانت بحق؛ نعم الأم.

عـذرًا على حـوارى الـدائـر بينى وبين نفسى، ومشاركتى إياكم فيه، وتناقضاتى التى صدعت رؤوسكم، تـحـمّـلـونـى، فـأنـا مثلما تصفنى صديقاتى، فىّ كل حاجة وعكسها، أحيانا أشعر بأن عقلى بات كبيرًا، فالسنوات الأخيرة فى حياتى غيّرتنى كثيرًا، بعد خروجى من قريتى إلى مدينة الطالبات.. وأحيانًا أخرى أشعر بأننى نزيلة فى عنبر العقلاء، الكائن بمستشفى العباسية للأمراض النفسية.. لكن على كل الأحوال لقد نجحت وجـدًا، اطمئنوا، فأنا أحدثكم الآن من بيروت، وليس منيا القمح.

■■

الفقرة الأخيرة كانت مـقـدمـة لـمـفـاجـأتـى المـدويـة؛ أنـا لا أعلم حتى الآن لماذا أروى لكم كل هذا، فلم أفكر أبـدًا فى كتابة سيرتى الـذاتـيـة، أرى نفسى صغيرة على ذلك، ولا أعلم أيضًا هل سيخرج ما أكتبه هنا إلى النور أم لا!

لكننى أحتاج على أى حال لمساحة من الفضفضة، فما رأيته فى سنواتى الإحدى والعشرين ليس قـلـيـلا.. أريـد أن أتـحـدث وأتـحـدث، فالأرض لا تستوعب سعادتى الآن، أنا طائرة فى السماء يا سادة، رغم أننى لم أصعد للطائرة التى ستحملنى للقاهرة حتى الآن.

بالمناسبة، يبدو أن فرصتى فى الكتابة ستطول، لا بد من شحن هذا الكمبيوتر المحمول، حتى أستمر فى تدوين تاريخى، وأكمل ما بدأته معكم، حيث أعلنت مكبرات الصوت بالمطار، أن الطائرة ستتأخر ثلاث ساعات.

حسنًا، لن يكون هذا مملًا طالما أكتب، فاغتنموا الفرصة، وتحملوا كـاتـبـة طائشة مـثـلـى، وكئيبة.. تضحكون الآن، لكننى أعتذر فعلًا عن تلك المأساويات التى أرويها لكم، لكن ماذا أفعل.. هذه حياتى، وذلك قدرى!

لـذلـك دعـونـى أسـمـى هـذا الفصل من مذكراتى «ألـم»، وأعتقد أنكم لن تخالفونى الـرأى، فأنا متأكدة أنكم قاسمتمونى فيه، حتى لو بأثر رجعى، للمرة الثانية: متأسفة.. أعدكم بأن

عـنـوان الفصل الثانى ستتبدل فيه الحروف، سأسميه «أمل»، لن أقول لكم إلى اللقاء.. سأقول إلى الأمل.

«مدينة الطالبات»، يا لها من عالم ملىء بالمتناقضات، أحببتها بشدة، رغم أننى شاهدت فيها الأشياء وعكسها، الأخـلاق والانـحـراف؛ الأدب وقلته، الصدق والكذب، الفساد والعدالة، ورأيـت فيها العبر، عاشرت ملائكة وشياطين، لكننى وسط كل ذلك؛ تعلمت الكثير، قلت لكم إننى لا أنسى تلك الليلة العصيبة؛ الأولى لى بين فتيات رأيتهن لأول مرة، وأصبح مطلوبًا منى أن أغمض عينى بينهن، بعيدًا عن سريرى المتهالك فى منزلنا الصغير، الذى خرجت منه إلى المجهول.

■■

قبل هذه الليلة؛ التى وصلت فيها إلى المدينة الجامعية، كانت هناك ليال أشد قبحًا، طوال 3 أشهر قضيتها فىّ منزل الممرضة العجوز، حتى أنهيت إجـراءات التحاقى بالمدينة.. هذه السيدة أثّرت فىّ كثيرًا، لم أنس لها مشاهد عدة؛ حفرت فى وجدانى، منذ أن استقبلتنى فى منزلها بعد نجاحى، بابتسامتها الرقيقة.. عندما ربتت على كتفى بحنان، فى تعارض تام لنظرتها الشرسة؛ حين هتكت أنوثتى بمشرطها.

لذلك عجزت وقتها؛ أمام هذا الحنان، عن اتخاذ أى رد فعل، واكتفيت بالنظر إلى عينيها فـى تـحـد، واسـتـمـررت بـذلـك طـويـلا، بـاحـثـة بين حدقتيها؛ عما يجعلنى أسـتـوعـب مـا يـحـدث.. فكيف يتحول السفاح إلى برىء حنون؟ سألت نفسى هذا السؤال، ولم أجد إجابة، حتى قطع العمدة الصمت فى المكان، ورفع صوته يعرفنى على العجوز.. لم ألتفت إليه، بالطبع لن أخبره أننى أعرفها، لكننى فوجئت بها تتحدث، وتقول بفخر: «أعرفها طبعًا»، وأكملت: «أنا إللى طاهرتها».. كدت أسقط من هول إحساسى بـالأذى والخجل، ليت الأرض تنشق وتبتلعنى.. هذا كان لسان حـالـى، وأنـا أرفـع يـدى إلى وجهى بمنديلى، محاولة إيقاف إعصار العرق؛ الذى أغرق ملامحى فجأة، كأنه تسونامى جديد. ■

(يتبع)

روزا 2

هو

يرسمها:
مصطفى سالم

وهى

ترسمها:
ياسمين مأمون